جامعة

بنغازي الحديثة

مجلة جامعة بنغازي الحديثة للعلوم والدراسات الإنسانية

مجلة علمية الكترونية محكمة

العــدد الثالث عشر

لسنة 2021

حقوق الطبع محفوظة

Journal of Benghazi Modern University of Sciences and Humanities

شروط كتابة البحث العلمي في مجلة جامعة بنغازي الحديثة للعلوم والدراسات الإنسانية

1- الملخص باللغة العربية وباللغة الانجليزية (150 كلمة).
2- المقدمة، وتشمل التالي:
❖ نبذة عن موضوع الدراسة (مدخل).
❖ مشكلة الدراسة.
❖ أهمية الدراسة.
❖ أهداف الدراسة.
❖ المنهج العلمي المتبع في الدراسة.
3- الخاتمة. (أهم نتائج البحث - التوصيات).
4- قائمة المصادر والمراجع.
5- عدد صفحات البحث لا تزيد عن (25) صفحة متضمنة الملاحق وقائمة المصادر والمراجع.

القواعد العامة لقبول النشر

1. تقبل المجلة نشر البحوث باللغتين العربية والانجليزية؛ والتي تتوافر فيها الشروط الآتية:

- أن يكون البحث أصيلاً، وتتوافر فيه شروط البحث العلمي المعتمد على الأصول العلمية والمنهجية المتعارف عليها من حيث الإحاطة والاستقصاء والإضافة المعرفية (النتائج) والمنهجية والتوثيق وسلامة اللغة ودقة التعبير.
- ألا يكون البحث قد سبق نشرة أو قُدم للنشر في أي جهة أخرى أو مستل من رسالة أو اطروحة علمية.
- أن يكون البحث مراعياً لقواعد الضبط ودقة الرسوم والأشكال - إن وجدت - ومطبوعاً على ملف وورد، حجم الخط (14) وبخط (Arial 'Body') للغة العربية. وحجم الخط (12) بخط (Times New Roman) للغة الإنجليزية.
- أن تكون الجداول والأشكال مدرجة في أماكنها الصحيحة، وأن تشمل العناوين والبيانات الإيضاحية.
- أن يكون البحث ملتزما بدقة التوثيق حسب دليل جمعية علم النفس الأمريكية (APA) وتثبيت هوامش البحث في نفس الصفحة والمصادر والمراجع في نهاية البحث على النحو الآتي:
- أن تُثبت المراجع بذكر اسم المؤلف، ثم يوضع تاريخ نشرة بين حاصرتين، ويلي ذلك عنوان المصدر، متبوعاً باسم المحقق أو المترجم، ودار النشر، ومكان النشر، ورقم الجزء، ورقم الصفحة.
- عند استخدام الدوريات (المجلات، المؤتمرات العلمية، الندوات) بوصفها مراجع للبحث: يُذكر اسم صاحب المقالة كاملاً، ثم تاريخ النشر بين حاصرتين، ثم عنوان المقالة، ثم ذكر اسم المجلة، ثم رقم المجلد، ثم رقم العدد، ودار النشر، ومكان النشر، ورقم الصفحة.

2. يقدم الباحث ملخص باللغتين العربية والانجليزية في حدود (150 كلمة) بحيث يتضمن مشكلة الدراسة، والهدف الرئيسي للدراسة، ومنهجية الدراسة، ونتائج الدراسة. ووضع الكلمات الرئيسية في نهاية الملخص (خمس كلمات).

3. تحتفظ مجلة جامعة بنغازي الحديثة بحقها في أسلوب إخراج البحث النهائي عند النشر.

إجراءات النشر

ترسل جميع المواد عبر البريد الالكتروني الخاص بالمجلة جامعة بنغازي الحديثة وهو كالتالي:

- ✓ يرسل البحث الكترونياً (Word + Pdf) إلى عنوان المجلة info.jmbush@bmu.edu.ly او نسخة على CD بحيث يظهر في البحث اسم الباحث ولقبة العلمي، ومكان عملة، ومجاله.
- ✓ يرفق مع البحث نموذج تقديم ورقة بحثية للنشر (موجود على موقع المجلة) وكذلك ارفاق موجز للسيرة الذاتية للباحث إلكترونياً.
- ✓ لا يقبل استلام الورقة العلمية الا بشروط وفورمات مجلة جامعة بنغازي الحديثة.
- ✓ في حالة قبول البحث مبدئياً يتم عرضة على مُحكّمين من ذوي الاختصاص في مجال البحث، ويتم اختيارهم بسرية تامة، ولا يُعرض عليهم اسم الباحث أو بياناته، وذلك لإبداء آرائهم حول مدى أصالة البحث، وقيمته العلمية، ومدى التزام الباحث بالمنهجية المتعارف عليها، ويطلب من المحكم تحديد مدى صلاحية البحث للنشر في المجلة من عدمها.
- ✓ يُخطر الباحث بقرار صلاحية بحثه للنشر من عدمها خلال شهرين من تاريخ الاستلام للبحث، وبموعد النشر، ورقم العدد الذي سينشر فيه البحث.
- ✓ في حالة ورود ملاحظات من المحكُمين، تُرسل تلك الملاحظات إلى الباحث لإجراء التعديلات اللازمة بموجبها، على أن تعاد للمجلة خلال مدة أقصاها عشرة أيام.
- ✓ الأبحاث التي لم تتم الموافقة على نشرها لا تعاد إلى الباحثين.
- ✓ الأفكار الواردة فيما ينشر من دراسات وبحوث وعروض تعبر عن أراء أصحابها.
- ✓ لا يجوز نشر إي من المواد المنشورة في المجلة مرة أخرى.
- ✓ يدفع الراغب في نشر بحثه مبلغ قدره (400 د.ل) دينار ليبي إذا كان الباحث من داخل ليبيا، و (200 $) دولار أمريكي إذا كان الباحث من خارج ليبيا. علماً بأن حسابنا القابل للتحويل هو: **(بنغازي – ليبيا - مصرف التجارة والتنمية، الفرع الرئيسي - بنغازي، رقم 001-225540-0011. الاسم (صلاح الأمين عبدالله محمد)**.
- ✓ جميع المواد المنشورة في المجلة تخضع لقانون حقوق الملكية الفكرية للمجلة.

info.jmbush@bmu.edu.ly

00218913262838

د. صلاح الأمين عبدالله
رئيس تحرير مجلة جامعة بنغازي الحديثة
Dr.salahshalufi@bmu.edu.ly

ظروف قيام الممالك الهللينيستية وطبيعة العلاقات التي وُجدت فيما بينها

د. عُليه إبراهيم حسين
(عضو هيئة التدريس بدرجة محاضر - قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة عمر المختار - البيضاء - ليبيا)

المخلص:
لعبت الممالك الهللينيستية الثلاث الكبرى (المقدونية في بلاد اليونان - البطلمية في مصر - السليوقية في سوريا) دورًا بارزًا في تاريخ المنطقة وحضارتها، ومنطقة البحر المتوسط على نحو خاص منذ عام 323 ق.م عندما بدأ النمط المميز للعالم الهللينيستي في الظهور، وأصبح واضحًا تفكك إمبراطورية الإسكندر إلى مجموعة من الممالك المتنافسة، وانطلاق الطبيعة البشرية من عقالها في الصراع الدامي الذي نشب بين قادة الإسكندر المتنافسين على السلطة والحكم، والذي ما كاد ينتهي حتى يبدأ من جديد في مسلسلات الحروب الدامية التي دارت بين قادة الإسكندر نفسه والأجيال التالية من الأسر الحاكمة التي قام كبار قادته بتأسيسها، والتي قدمت لقوة الرومان المتنامية الفرصة الذهبية في الزحف التدريجي على المنطقة، منتهزه كل ثغرة أتيحت لها لتنفذ منها، حتى أنتهى الأمر بتدمير الجميع ووضع يدها على ممالكهم.

Abstract.

The three great Hellenistic kingdoms (Macedonian in Greece - Ptolemaic in Egypt - Seleucid in Syria) played a prominent role in the history and civilization of the region, and the Mediterranean region in particular since 323 BC when the distinctive pattern of the Hellenistic world began to appear, and it became clear that the disintegration Alexander's empire into a group of rival kingdoms، and the departure of human nature from its head in the bloody struggle that broke out between Alexander's leaders competing for power and rule, Which almost ended until it began again in the series of bloody wars that took place between the leaders of Alexander himself and the following generations of ruling families that his senior leaders established, and which provided the growing power of the Romans a golden opportunity to gradually march on the region, taking advantage of every available loophole to run through it, It even ended up destroying everyone and putting their hands on their kingdoms.

ـ مقدمة:

ترك الإسكندر ـ عند وفاته ـ إمبراطورية تمتد من حدود الإدرياتي إلى البنجاب ومن طلجستان حتى ليبيا، لكن كثيرًا من أجزائها كانت صلتها ضعيفة بالإمبراطورية إلى جانب أن أجزاء أخرى من شمالي آسيا الصغرى لم تخضع للسيطرة المقدونية بأي شكل من الأشكال، وفي هذا البحث الموسوم بـ (ظروف قيام الممالك الهللينيستية وطبيعة العلاقات الدولية التي وجدت فيما بينها) سوف نستعرض الأحوال السياسية في حوض البحر المتوسط في الفترة الواقعة ما بين وفاة الإسكندر الأكبر في عام 323 ق.م، وما تبعها من انقسام قواده لإمبراطورتيه وبين نهاية الربع الأول من القرن الثالث قبل الميلاد حين كانت الممالك الهللينيستية الثلاث في مقدونيا ومصر وسوريا قد استقرت وقام بينها نوع من توازن القوى، ذلك أنه في هذه الفترة لم يكن التدخل الروماني قد عرف طريقه إلى بلاد الشرق الهللينيستي، وإنما استقرت أمور الممالك الهللينيستية خلالها في أيدي حكام مستقلين ذوي سيادة تامة، يصرفونها بمحض إرادتهم ويقبضون بأيد قوية على أزمة الحكم فيها قبل أن يتعرضوا لعوامل الضغط الروماني التي أثرت في مقدرات ممالكهم منذ السنوات الأولى من القرن الثاني قبل الميلاد وقام بينها نوع من توازن القوى.

وقد قسمت هذا البحث إلى ثلاثة محاور، تناولت في المحور الأول الموسوم بـ (الصراع بين خلفاء الإسكندر وقيام الممالك الهللينيستية) حروب الخلفاء التي أدت إلى تمزيق أوصال الإمبراطورية وقيام الممالك الهللينيستية على أنقاضها.

أما المحور الثاني الموسوم بـ (أحوال بلاد الإغريق السياسية والاجتماعية والاقتصادية في الفترة الواقعة ما بين وفاة الإسكندر وبين نهاية الربع الأول من القرن الثالث قبل الميلاد) وتطرقت منه إلى أحوال بلاد الإغريق في تلك الفترة، على أساس أن بلاد الإغريق كانت عنصرًا هامًا في سياسات الممالك الهللينيستية ثم سياسة روما فيما بعد، وأن عنصر الإغريق كان له أثره في مقدرات هذه الممالك، وأن أحوال هذه البلاد المختلفة كان لها أثرها على كل هذا وذاك.

وتطرقت في المحور الثالث الموسوم بـ (ظهور قوة روما وسيطرتها على شبه الجزيرة الإيطالية في الربع الأول من القرن الثالث قبل الميلاد) إلى أحوال منطقة غربي البحر المتوسط، حيث كانت هذه المنطقة تشهد ظهور قوة روما، أي في ذلك الوقت الذي استقرت فيه الممالك الهللينيستية في حوض البحر المتوسط الشرقي، فكان ذلك توطئة لتوسيع روما إلى خارج إيطاليا غربًا ثم شرقًا.

أما عن مشكلة الدراسة فتكمن في غموض وقلة المعلومات في تلك الفترة من التاريخ الهلليني‍ستي، ولقد رأيت أن هذه الدراسة جديرة والبحث والدراسة، بعد أن رأيت إمكانية الاستفادة منها، لإلقاء الضوء على الحقائق والوقائع التاريخية في تلك الفترة.

يستهدف هذا البحث إذًا بيان ظروف قيام هذه الممالك للتعرف على وجوه القوة والضعيف الكامنة منها وإدراك طبيعة العلامات بين بعضها من جهة، وبينها وبين المدن الإغريقية التي تقع في آسيا وأوروبا من جهة أخرى.

- ظروف قيام الممالك الهللينيستية وطبيعة العلاقات التي وجدت فيما بينها:

في عام 323ق.م[1] قضى الإسكندر الأكبر نحبه في مدينة بابل بعد أن قضى قرابة أحد عشر عامًا من أعوام حياته الثلاثة والثلاثين يغزو ويفتح ويستكشف، وقد ترتب على موت الإسكندر المفاجئ عدد من المشكلات كانت أخطرها هي مشكلة وراثة العرش التي كشفت عن أطماع قواده وأفضت إلى نتائج بعدية المدى، ففي اليوم الذي اجتمع فيه القواد غداة وفاته لاختيار خليفته وفقًا للتقاليد المقدونية (Tarn w, 1952, pp.44-45) تشعبت الآراء، ولكنه أمكن حسم الخلاف وتأجيل الصراع بالاتفاق على أن يرتقي العرش أرهيدايوس (Tarn w, 1921, p.29) Arrhidaeus ابن فيليب الثاني Philip II، العرش تحت اسم فيليب أيضًا والاعتراف بحق جنين روكسانا Roxana إذا كان ذكرًا في مشاركة فيليب الملك بوصفهما شريكين تحت الوصايا (Tarn, 1921, p.20).

وبهذا الحل أمكن الاحتفاظ بوحدة الإمبراطورية، لكنها لم تكن وحدة إلا في الشكل، إذ أن الإمبراطورية تقسمت في الفعل بين قواد الإسكندر الذين قرر مؤتمر بابل توزيع ولايات الإمبراطوريات عليهم، ليحكموها بصفة كونهم ولاة من قبل الأسرة المالكة المقدونية (إبراهيم نصحي، 1998، ص44) وقد عهد لبطلميوس بمصر، وإلى سليوقس Seleucus بسوريا، وإلى ليسيماخوس Lysimachus بتراقيا، وحصل أنتيجونوس Antigonus الأعور على الجانب الأكبر من آسيا الصغرى، التي توزعت بقية أجزائها بين عدد آخر من القواد، واستمر أنتيباتروس Antipatrus يحكم مقدونيا ويسيطر على بلاد الإغريق التي تقرر أن تبقى خاضعة لمقدونيا (Appianus, Syriake 1928, p.119). وقرر المؤتمر أيضاً تعيين برديكاس Perdicas، وكان أقوى القواد نفوذاً، خيليارخس Chiliarches أي قائداً عاماً للجيش ومهيمناً على شؤون الإمبراطورية، وتعيين كراتيروس Crateros بروستاتس Prostates أي أن يكون وصياً على الملك المعتوه، وكذلك على طفل روكسانا عندما يولد (Diodorus, XVIII, 48, 4-5).

كان قواد الإسكندر ينتمون إلى أعرق الأسر النبيلة في مقدونيا، ويعتزون بأصلهم النبيل بما أنجزوه من أعمال باهرة وما كسبوه من خبرة واسعة، ولعل بعضهم كان يعتبر نفسه جدير بأن يخلف الإسكندر، وكان أقلهم اعتزازًا بنفسه لا يسمح إلا أن يكون ندًا للآخرين، وكانت هناك أقاليم الشرق الشاسعة التي فتحها الإسكندر تجتذب طموحهم وتفتح أمامهم مجال المبادرة بل المغامرة (Jouguet, pp.29-126).

وإذا كانت أطماع القواد قد أدت بعد فترة من الصراع المسلح المرير، إلى تمزيق أوصال الإمبراطورية، فإن فكرة تفكيك عُري الإمبراطورية لم تختمر في رؤوس هؤلاء القادة إلا بالتدريج في ذلك الوقت، كان هدف كل قائد هو أن يضمن لنفسه الاستقلال بإدارة ولايته (Jouguet, p.128).

ولم يكد يمضي العام على وفاة الإسكندر حتى لاحت بوادر أزمة الصراع بين خلفائه، ولم تنته هذه الأزمة إلا في أعقاب معركة كوربيدون Corupediun في عام 181ق.م بعد أن استغرقت أربعين عامًا أسفر آخر الأمر عن استقرار فكرة قيام الممالك الهللينيستية المستقلة نهائيًا مما أدى إلى نوع من توازن القوى في العالم الهللينيستي (Rostovtzeff, M, 1958, p.32).

- الصراع بين خلفاء الإسكندر وقيام الممالك الهللينيستية:

وأخبار هذا الصراع خاصة في الفترة الممتدة بين وفاة الإسكندر وواقعة أبسوس Ibsus في عام 301ق.م، مبسوطة في كتب المؤرخين القدامى بسيطًا وافيًا بكل دقائق تفصيلاتها، وحسبنا أن نورد هنا القصة المتشابكة المعقدة لتلك الحروب بأشد الإيجاز، وبالقدر الذي يوضح كيف قامت الممالك الهللينيستية، تمهيدًا لبيان مقوماتها وعوامل سقوطها.

[1] كل التواريخ الواردة في هذا البحث (قبل الميلاد) إلا إذا نص على غير ذلك.

في عام 321ق.م شبت نار الحرب بين برديكاس وبين حلف تألف من أنتيباتروس وكراتيروس وبطلميوس، وكان الدافع وراء هذا الحلف هو الخوف من إزدياد قوة برديكاس الذي عنى باستكمال فتح آسيا الصغرى، وأحرز انتصارات عسكرية باهرة جعلت جيشه يقيمه وصيًا على عرش الإسكندر، أي يعترف بالمركز الذي أدعاه برديكاس منذ مؤتمر بابل وجعل من خلاله يصدر الأوامر للولاة بوصفه ممثلاً للسلطة المركزية في الإمبراطورية، ولما كان بطلميوس والي مصر قد تحدى برديكاس تحديًا سافرًا، وأظهر بجلاء أنه عقد العزم على إتباع سياسة مستقلة، فإن برديكاس قرر أن يجعل منه عبرة للولاة الآخرين، ولذلك غزا مصر بنفسه في ربيع عام 321ق.م غير أنه لم يفلح في الاستيلاء على بلوزيون (الفرما) وفي المحاولتين اللتين قام بهما لعبور فرع النيل البلوزي (Pousanias, 1986, p.22) رغم حسن اختياره لوقت العبور في يونيو عام 321ق.م، أي قبل حلول موعد الفيضان إلا أنهم أساء اختيار موقع العبور، فقد أدى ثقل الأحمال إلى انهيارات في قاع النهر ومن ثم عظمت خسائر الجيش، وقد أدى هذا بثلاثة من ضباط برديكاس إلى اغتياله، احتجاجاً على سوء قيادة للجيش (فوزي مكاوي، 1992، ص41).

وبعد اغتيال برديكاس اجتمع قواد الجيش المقدوني في تريباراديسوس Triparadisos شمال سوريه عام 320 ق.م، لإعادة تنظيم الإمبراطورية المقدونية، ولاختيار وصي جديد وتوزيع ولايات الإسكندر، فأختاروا أنتيباتروس وصيًا على الإمبراطورية، وقرروا تعيين ولاة جدد مكان أصدقاء برديكاس، والاعتراف بمركز بطلميوس في مصر، وكان من أهم القرارات تعيين سليوقس والياً على بابل، والاحتفاظ لإنتيجونوس بولايته في آسيا مع تعيينه قائداً عامًا للجيش الملكي في آسيا، وتكليفه بإخضاع يومينيسEumenes (إبراهيم نصحي، 1998، ص63-64؛ Diodofus, XVII, 39)، وحيث أنه تقرر أيضًا نقل كنوز سوسة إلى قلعة كونيدا (Cyinda) في كيليكة فأصبحت هذه الكنوز تحت إشراف القائد العام للجيش، وعلى هذا النحو توافر لأنتيجونوس، من الأموال والرجال ما كان يهيئ لمثل هذا الرجل الطموح الموهوب الفرص لتحقيق أطماعه الواسعة.

ولم يمكث أنتيباتروس في الوصايا سوى عامين، إذ أنه توفى في عام 319ق.م، وقد استطاع خلال هذين العامين أن يحتفظ بوحدة الإمبراطورية بفضل شعور الاحترام الذي كان الجميع يكنونه له باعتباره آخر قواد فيليب الثاني، وانتخب يوليبيرخون Polyperchon ليحل محل الوصي الراحل على أن يساعده كاساندروس Casandros بن أنتيباتروس ولما كان الأخير يطمح في منصب الوصاية، فقد دارت بينه وبين بوليبيرخون منافسة مما أوقع الإمبراطورية في أزمة جديدة، وفي تلك الأثناء كان أنيتجونوس قد بدأ يعمل لحسابه في ولاية آسيا عاقدًا حلفه مع كاساندوس، في حين انضم يومينيس إلى بوليبيرخون الذي عينه قائدًا عامًا في آسيا وأمده بالأموال والجنود (إبراهيم نصحي، 1998، ج1، ص65؛ مصطفى العبادي، 1985، ص34).

وسرعان ما نشبت الحرب من جديد متخذة ميدانين أحدهما في بلاد الإغريق والآخر في آسيا، أما الميدان الأول فكان الصراع فيه بين بوليبيرخون وكاساندروس، وقد انتهت الحرب في هذا الميدان في عام 316 ق.م بانتصار كاسندورس انتصارًا كاملاً جعل منه سيدًا لمقدونيا وجزء كبير من بلاد الإغريق بما في ذلك آثينا، وهلك في هذا الصراع كل من فيليب الثالث (أرهيدايوس) وزجتة يوريديكي Eurydike زوجته، وأوليمبياس أم الإسكندر الأكبر، كما وقع الإسكندر الرابع، الذي أصبح عندئذٍ الوريث الشرعي الوحيد للإسكندر الأكبر، هو وأمه روكسانا في قبضة كاساندروس، وأما في آسيا فكان الصراع بين يومينيس وأنتيجونوس، وقد خاض الأول في هذا الصراع معارك في ظروف قاسية عصية، وبقدر كبير من الذكاء، وروح قوية من الولاء للإمبراطورية، واستطاع يومينيس أن يستولي على بابل ويحصل على عدد من الولايات الشرقية البعيدة، وأن يهزم أنتيجونوس أكثر من مرة، لكن خيانة أعوانه أسلمته آخر الأمر في بواكير عام 316 ق.م إلى خصمه العنيد الذي لم يتردد طويلاً في الإجهاز عليه (Diodorus, XVII, p.32).

وعقب وفاة يومينيس (فوزي مكاوي، 1992، ص47) - آخر نصير لحق أسرة الإسكندر الشرعي في المُلك - لم يعد أنتيجونوس من صراعه من يومينيس أقوى القواد جميعًا، وكان يدفع

هذا القائد طموح عارم جعله يطمع بالفعل في أن تتخذ مكان الإسكندر ويحكم الإمبراطورية كلها، مما أوقعه في صراع مرير مع القواد الآخرين أفضى إلى تفكيك عُري الإمبراطورية المقدونية، والحق أن أنتيجونوس أدار دفة الحرب معتمدًا ليس على القوة فحسب بل على الأساليب السياسية بنفس القدر مما يدل على مواجهة كانت تعادل أطماعه، وقد بدأ أنتيوجونوس بالقضاء على الولايات الشرقية، ولم يسع سليوقس والي بابل إلا أن يفر من ولايته بحياته ويلوذ ببطلميوس والي مصر، حاملاً أنباء مزعجة عن استفحال خطر أنتيجونوس، وإزاء هذا الخطر تألف من كاساندروس وليسيماخوس وبطلميوس وسليوقس حلف يستهدف القضاء على برديكاسا الجديد الذي بات واضحًا أنه يتطلع إلى حكم الإمبراطورية كلها (إبراهيم نصحي، 1998، ج1، ص72).

وفي عام 315ق.م بدأت جولة جديدة من الحرب امتدت حتى توقيع الصلح بين المتحاربين في عام 311 ق.م، واتسمت بسمتين: استخدام سلاح الدعاية (Rostovtzeff, 1958, pp.12-15) وخلوها من المعارك الحاسمة، ولعل أهم وقائعها كانت واقعة غزة التي أحرز فيها بطلميوس نصرًا كبيرًا على ديميتريوس Dimetrios بن أنيتجونوس في ربيع عام 312 ق.م، غير أن وجه الأهمية في هذه المعركة لا يكمن في ما ترتب عليها من استرداد بطلميوس لما كان أنتيجونوس قد انتزعه من أراضيه في سوريا في غضون هذه الحرب ذاتها، بقدر ما في نتيجتها الأخرى وهي أن سليوقس وجد في أثرها الطريق مفتوحًا أمامه للعودة إلى ولايته في بابل بقوة من الفرسان في أكتوبر من عام 312 ق.م، وهو تاريخ اعتبره المؤرخون القدامى بداية عهد المملكة السليوقية (Rostovtzeff, 1958, pp.12-15).

وقد رأى أنتيجونوس في عودة سليوقس إلى بابل وتوطيده نفوذه في الولايات الشرقية خطرًا جديدًا يهدد بإحباط كل خططه، ومن أجل هذا أنفذ ابنه ديميتريوس إلى عقد الصلح مع سليوقس، وقد أقنعت هذه الحملة أنتيجونوس بضرورة عزل سليوقس عن حلفائه، وذلك بمصالحه هؤلاء الحلفاء إلى أن يقضي على سليوقس الذي كان يهدد مؤخرته ويقف حائلاً دون ما كان يستطيع الحصول عليه من الولايات الشرقية من الرجال والخيول والفيلة والأموال (إبراهيم نصحي، 1998، ج1، ص74).

وفي عام 311 ق. م عقد الصلح الذي كانت مفاوضاته قد بدأت في عام 312 ق.م بين أنتيجونوس وكاساندروس، وليسيماخوس وبعد ذلك مع بطلميوس أيضًا (Carry, 1951, p.29).

وقد اشتغل أنتيجونوس مفاوضات الصلح للقيام بدعاية واسعة بين الإغريق، وقد تضمنت شروط الصلح: (أولاً) أن يحتفظ كاساندروس بسيطرته على مقدونيا في عام 305 ق.م عندما يبلغ الإسكندر الأكبر السن القانونية ويتولى الحكم بنفسه.

(وثانيًا) أن يحكم ليسيماخوس تراقيا، بطلميوس مصر، وأنتيجونوس آسيا.

(وثالثًا) أن تتحرر المدن الإغريقية ولا تستبقي فيها حاميات (Diodorus, 1997, XIX 105).

وقد عانت الإمبراطورية نتيجة لهذه المعاهدة من ضربة قاضية، لأنها اعترفت بوجود أربع قوى مستقلة، لم يأت ذكر فيها لسليوقس (فوزي مكاوي، 1992، ص53) وبوليبيرخون اللذين أبعدا عنها، وبذلك تخلص كاساندروس و ليسيماخوس ومعهم أنتيجونوس من مخاوفهم من جهة الملك، لأنه أصبح لا يوجد منذ الآن وريث للإمبراطورية على قيد الحياة، وبدأ كل واحد من الذين يحكمون الشعوب أو المدن يُعزز آماله في الحكم، ويقبض على ما يوجد تحت يده، كما لو أنها مملكة حصل عليها بحد السيف (Diodorus, 1997, XIX 105).

ومما يجدر بالملاحظة أن الشرط الأول كان حافزًا لكاساندروس على التخلص من الإسكندر الرابع، وقد قتله بالفعل في عام 310 ق. م هو وأمه روكسانا، وأن الشرط الثالث زاد أنتيجونوس مكانة بين الناس وأعطاه المعاذير لبدء الحرب من جديد متى شاء، وتتلخص نتائج الحرب في أن كاساندروس فقد جانبًا كبيرًا من بلاد الإغريق، لكنه احتفظ بإبيروس ووطد مركزه في مقدونيا، وأن ليسيماخوس حسن مركزه إلى حد كبير، وأن بطلميوس فقد جوف سوريا وإقليم

كورينايا وسيادته البحرية، لكنه أحتفظ بقبرص ولم يمس مصر نفسها أي سوء (إبراهيم نصحي، 1998، ص76).

وأما فيما يخص أنتيجونوس، فإن هذا الصلح كان نصرًا دبلوماسيًا رائعًا، أكسبه نفوذًا كبيرًا في بلاد الإغريق، فضلاً عن فرزه بجوف سوريا وقاريه Caria والاعتراف له بكل الولايات الشرقية بما في ذلك ولايات سليوقس (Rostovaeff, 1958, pp.12-15).

وإذا كان من اليسير أن نفهم لماذا رحب أنتيجونوس بالصلح فإنه من العسير أن نتكهن لماذا قبل أعداؤه جيدًا الصلح وضحوا بحليفهم سليوقس، اللهم إلا إذا كانوا قد أدركوا وقتئذٍ أنه لم يكن في وسعهم خوض غمار حرب فاصلة ضده.

بعد عُقد الصلح، كان طبيعيًا أن يشتغل أنتيجونوس فرصة الهدنة لمحاولة استعادة الولايات الشرقية، فقام بحملة على بابل امتدت منذ عام 310 حتى آخر عام 308 ق.م، ولكنها باءت بالفشل مما أضطر أنتيجونوس إلى عقد الصلح مع سليوقس في بداية عام 307 ق.م. ولا يمكن تفسير تطور الحوادث في الغرب تفسيرًا شافيًا إلا إذا كان أنتيجونوس قد انهمك طويلاً في تلك العمليات، والواقع أن إخفاقه في قهر سليوقس كان عاملاً حاسمًا في القضاء عليه أخيرًا، إذ يبدو أن ذلك كان يتعذر لو لم يبق سليوقس قويًا ومستقلاً، ولو لم تكن لديه فسحة من الوقت لدعم قواته في الشرق وتنظيم جيشه وزيادة قوته (إبراهيم نصحي، 1998، ج1، ص74). ويبدو أن بطلميوس رأى في المتاعب التي كان يلقاها أنتيجونوس وقتئذٍ فرصة لاستعادة سيادته البحرية فاستطاع في عام 310 ق.م أن يضم إلى ممتلكاته جزيرة قبرص ضمًا نهائيًا، ثم بدأ في العام التالي (309 ق.م) يستغل مبدأ تحرير الإغريق الذي اعترف به الجميع في صلح عام 311 ق.م، ليحرر بعض المدن الإغريقية فاستولى على جزيرة كوس وعلى بعض القواعد في بامفليا وليكيا وقاريه (Jouguet, 1933, p.21).

وفي عام 307 ق.م بدأ أنتيجونوس وابنه ديميتريوس جولة جديدة من الصراع من أجل السيطرة على الإمبراطورية كلها، ولقد شعرا بأنه يتعين عليهما القضاء على سيطرة كاساندروس على بلاد الإغريق، وسيطرة بطلميوس على بحر إيجه، وفي صيف ذلك العام نزلت قوات ديميتريوس على ساحل آتيكا واستطاعت تحرير آثينا من سيطرة مقدونيا وإعادة نظام الحكم الديمقراطي إليها (إبراهيم نصحي، 1998، ج1، ص77؛ Diodorus, 1997, XIX 19).

وفي العام التالي (306 ق.م) أنزل ديميتريوس بأسطول بطلميوس جريمة بحرية ساحقة عند ميناء سلاميس بجزيرة قبرص، وقد ترتب على هذه المعركة أن فقد بطليموس أسطوله، كما فقد فبرص وكل ممتلكات مصر الخارجية وانتقلت السيطرة على البحر إلى ديميتريوس، وقد رأى أنتيجونوس أن نتيجة المعارك ضد كاساندروس و بطلميوس تعطيه الحق أن يعلن نفسه ملك على الإمبراطورية، وأن يتصرف طبقاً لذلك، وفي أعقاب معركة سلاميس اتخذ أنتيجونوس وابنه ديميتريوس لقب الملك، باعتبارهما ملكين شريكين على إمبراطورية الإسكندر، ولكن هذا الادعاء من جانب أنتيجونوس وابنه وُجه باعتراض من جانب بطلميوس الذى اعلن هو الآخر نفسه ملكاً على مصر، لكى يعلم أنتيجونوس أنه غير مستعد لقبول ادعائه بالملك، وقد وجهه أنتيجونوس حملة ضد مصر لتأديب بطلميوس ولكنها فشلت، وشجعت خطوة بطلميوس كل حكام الهللينيستين الرئيسيين على اتخاذ ألقاب الملك ففعل ذلك ليسيماخوس وكاساندروس ومن بعدهما سليوقس، وكان هذه الخطوة التي أراد بها الولاة تأكيد استقلالهم تعني أن إمبراطورية الإسكندر قد انحلت بالفعل (إبراهيم نصحي، 1998، ج1، ص79).

إن طوفان الألقاب الملكية المفاجئ يشير إلى خطوة أخرى نحو انهيار الإمبراطورية، مع أن اللقب الذى حصله عليه كل ملك يعنى أننا يمكن أن نتنافس فقط في ذلك، فإنه ليس من المقبول أن كل قائد كان يطالب بجميع الإمبراطورية فيما عدا أنتيجونوس الذي ربما كانت هذه الفكرة موجودة لديه، والأكثر احتمالاً إنهم استغلوا وفاة الإسكندر الرابع من للمطالبة بالملكية في أقاليمهم الخاصة، لأنهم لم يكونوا ملوكاً في تلك الأقاليم، كان بطلميوس ملك مصر بالفعل بالنسبة للأهالي

الوطنيين، ولكنه لم يلقب نفسه بملك مصر في أي وثيقة إغريقية على الإطلاق، وعلى أي مملكة إذاً كان أنتيجونوس ملكاً؟ أن سجل ديميتريوس الأخير الذي كان لسنوات عديدة ملكاً بدون مملكة، يقدم بعض الأدلة على أن هذه المليكات كان ينظر إليها على أنها ملكيات شخصية ليس لها رابطة وثيقة بالأرض التي يحكمها الملك، وكان أساس الاعتراف لهم بمطلبهم يعتمد على إنجاز عسكري رفيع المستوى، ثم بواسطة رجال تمكنوا بمجهوداتهم من السيطرة على شعوب أو مدن، وكانت مقدونيا تُمثل الاستثناء الوحيد، والذي أطلق فيه كاساندروس على نفسه لقب " ملك مقدونيا " ربما كان هدفه من ذلك الإدعاء لنفسه بمنصب فريد ليس متاحاً لأي واحد من منافسيه .(Walnabk, 1992, pp.68-69)

وفي عام 306 ق.م، وهو نفس العام الذي يُرجح أن الولاة بدأوا فيه يحملون ألقاب الملوك، بدأ ديميتريوس حصاره الشهير لجزيرة رودوس، وكان ذلك الحصار استفزازاً إضافيا لبطليموس صديق رودوس المقرب، وكانت رودوس قد بقيت على صداقتها لبطليموس حتى بعد فقده لسيادته البحرية، كما ظلت من أكبر عملاء مصر التجاريين في البحر المتوسط، لكن ديميتريوس لم ينجح في الاستيلاء على الجزيرة، فضلاً عن انشغاله أكثر من العام في حصارها قد أتاح لكاساندروس فرصة العمل لاستعادة سيطرته على بلاد الإغريق، وقد أسرع ديميتريوس من أجل هذا إلى بلاد الإغريق، حيث استطاع أن يطرد كاساندروس ويحررها أكثر، وفي عام 303ق.م أعاد ديميتريوس إنشاء عصبة كورنثه التي نادت به وبأبيه قائدين لها مكان الإسكندر.

وإزاء خطر أنتيجونوس وديميتريوس مرة أخرى على هذا النحو، جدد كاساندروس وليسيماخوس وسليوقس وبطلميوس في عام 302 ق.م المحالفة القديمة التي كانوا عقدوها بينهم في عام 315 ق.م (Taren, 1921, p.10).

وكانت هذه المحالفة لم تهدف هذه المرة إلى الحد من خطر أنتيجونوس فحس، وإنما استهدفت القضاء عليه، وفي عام 301 ق.م وعند إبسوس في فريجيا، اشتبك أنتيجونوس وديميتريوس مع قوات ليسيماخوس وسليوقس المشتركة في معركة حاسمة مُني فيها الأولان بهزيمة ساحقة، وسقط أنتيجونوس صريعًا على أرضها، أما ديميتريوس فقد ولى فرارًا إلى إبسوس (Taren, 1921, p.83; Rostovtzeffe, 1958, pp.14-16).

وتبرز معركة إبسوس بين أحداث حروب الخلفاء المتشابكة المعقدة؛ بسبب ما كان لها من أهمية كبرى على مستقبل العالم الهللينيستي، بل أنها تعتبر في الحقيقة بداية عهد جديد، لقد انحلت إمبراطورية الإسكندر نهائيًا. وتحطمت إمبراطورية أنتيجونوس أمام حلف من خصومه الأربعة، وإن كان ثلاثة منهم فقط (كاساندروس وليسيماخوس وسليوقس) هم الذين قاموا بدور فعال في القضاء عليه، أما رابعهم (بطليموس) فإنه لم يقم بالدور الذي كان منتظرًا منه، ولذلك قرر ثلاثتهم اقتسام الأسلاب فيما بينهم وحرمان بطلميوس "جوف سوريا" - التي كان قد وُعد بها - وإعطاء سوريا كلها لسليوقس، غير أن بطليموس كان قد احتل " جوف سوريا "، وصمم على الاحتفاظ بهذا الإقليم، ومن هنا بدأت المشكلة السورية التي كان لها أثر بعيد المدى وبخاصة في مصير دولة البطالمة، أما كاساندروس الذي كان الروح الدافعة للحلف ضد أنتيجونوس فقد قنع بمقدونيا، ونال ليسماخوس كل آسيا الصغرى شمالي جبال طوروس (Taren, 1921, p.11).

على أنّ أحد من هؤلاء الأقطاب لم يكن قانعًا بما ناله من أسلاب، وكان ليسيماخوس وسليوقس على وجه الخصوص لا يعتبران التسوية بعد إبسوس نهائية، وإنما كان كل منهما يدبر أمر تكوين إمبراطورية لنفسه تصارع إمبراطورية أنتيجونوس، أما ليسيماخوس فقد أخذ يتطلع إلى ضم مقدونيا وبلاد الإغريق بعد أن ضم الجانب الأكبر من آسيا الصغرى كما ذكرنا، وكان سليوقس يتطلع إلى ضم "جوف سوريا" أما بطلميوس فإن سياسته كانت ترمي إلى أن يضم إلى مملكته ويحتفظ بأجزاء كانت تعتبر ضرورية له، مثل "جوف سوريا" وقبرص وربما أجزاء من آسيا الصغرى، كما كان ينبغي بسط سيطرته على الطرق التجارية الكبرى والمدن التجارية الرئيسة في بحر إيجه، أما كاسا ندروس فإنه كان متهيئًا لأن يقنع بإحكام سيطرته على مقدونيا

وبلاد الإغريق، نظرًا للإجهاد الذي قد أصاب مقدونيا حتى ذلك الوقت (Rostovtzeff, 1958, p.160).

وإزاء هذه الأطماع، وأزمة الثقة التي نشأت بين الحلفاء، لم يكن هناك شك، عن أن تمتد "حروب الحلفاء" فترة أخرى بعد إبسوس، ولا سيما أنه إذا كان أنيتجونوس قد مات، فإن ابنه ديميترويوس ظل حيًا يمارس السيادة على عصبة جزر الكوكلاديس، ويمتلك أقوى أسطول في بحر إيجه يسيطر على كثير من المدن الإغريقية في بلاد الإغريق، وفي آسيا الصغرى، بل وعلى مدن فينيقيا مثل صور وصيدا وفوق هذا كله، كانت تجيش في صدره هو الآخر الأطماع في أن يستعيد إمبراطورية أبيه(Taren, 1921, p.11; Jouguet, 1928, p.160).

وفي الفترة الممتدة من عام 300 حتى عام 285 ق.م على الأقل نجد شخصية ديميتريوس وقد عادت تشغل مكانًا في مجريات الأحداث، وإن لم تسيطر على تلك الأحداث على نحو ما سيطرت عليه شخصية أبيه من قتل في الفترة من عام 315 إلى 301 ق.م ولقد توفي كاساندروس في عام 297 ق.م، وتمكن ديميتريوس بفصل المنازعات التي دبت بين أبناء كاساندروس من الفوز بعرش مقدونيا في عام 294 ق.م، وهو عرش تربع عليه ستة أعوام استطاع في خلالها إن يخضع معظم بلاد الإغريق، فيما خلا إسبرطة وأثيوبيا وإبيروس، على أن ديمتيريوس لم يستطع اكتساب ولاء المقدونيين، ولم ينظر إلى مقدونيا إلا على أنها قاعدة يستطيع منها الوثوب لاستعادة آسيا، ولعل ديميتريوس لم يبق على عرش مقدونيا هذه الأعوام الستة إلا لأن ليسيماخوس (فوزي مكاوي، 1992، ص59) - لحاجة في نفسه - كان يدبر أمر بقائه إلى حين (Cary, 1951, VII, p.80).

وفي عام 289 ق.م أزعجت استعدادات ديميتريوس البحرية الملوك الآخرين فحالفوا ضده، وفي العام التالي (288ق.م) اجتاح ليسمياخوس وبيروس (فوزي مكاوي، 1992، ص60) ملك إبيروس مقدونيا، ففر ديميتريوس إلى كاساندريا، وفي ذلك الوقت ثارت آثينا بمساعدة بطلميوس، وحينئذٍ نجد ديميتريوس وقد عاد إلى الوضع الذي كان عليه عقب إبسوس، من حيث أنه لم يبق في يده إلا بعض المدن الإغريقية وأسطول قوي في البحر، وبالرغم من ذلك نجد هذا المغامر يغزو آسيا ملقيًا بكامل قوته ضد ليسيماخوس عدوه الشخصي اللدود، بعد أن ترك ابنه أنتيجونوس يراقب بلاد الإغريق، لكن ديميتريوس لم يحرز نجاح كبير في آسيا وسقط فريسة مرض تفكك على أثره جيشه، وفي عام 258 ق.م أجبر على التسليم لسليوقس الذي قبض عليه وسجنه، ولم يلبث إلا عامين قضى بعدهما نحبه في سجنه (Rostovtzeff, 1958, pp.12-13).

وعند سقوط ديميتريوس وضع بطلميوس يده على جزء من أسطوله القوي، وقد استطاع بطلميوس بهذا الأسطول أن يستولى على صور وعلى عصبة الجزر، وأن يحرز سيطرته على البحر، وبذلك أصبح منافسًا خطيرًا لسيلوقس وليسيماخوس الذي كان أكثر الجميع غنمًا بسقوط ديميتريوس، فقد أصبح يسيطر على مقدونيًا وتساليا وتراقيا وجزء كبير من آسيا الصغرى، مما آثار غيرة بطلميوس وسليوقس ومخاوفهما، وبطبيعة الحال لم يكن من شأن هذه الحالة دوام السلام واستقرار الأوضاع في العالم الهللينيستي (Rostovtzeff, 1958, pp.19-21).

ولقد لعب البيت البطلمي دوره في سقوط ليسيماخوس آخر الأمر، فقد كان بطليموس متزوجًا من يوريديكي ابنة أنتيباتروس، وأنجب منها ابنًا لقب فيما بعد "بالصاعقة" Keraunus ولم يلبث بطليموس أن ترك يوريديكي وتزوج وصيفة لها تدعى برينيكي ونفى الصاعقة، وعندما توفي بطليموس الأول في عام (283-282 ق.م) وكان هو الوحيد من الخلفاء الذي مات في فراشه غير صريع، خلفه على العرش ابنه من برينيكي باسم بطليموس الثاني وقد استجار الصاعقة بليسيماخوس، وكان هذا قد اتخذ أرسينوي أخت بطليموس الثاني زوجة ثالثة له، وكانت أرسينوي تعمل على أن يتولى ابنها عرش مقدونيا بدلاً من أجاثوكليس أكبر أبناء ليسيماخوس والوريث الأحق بهذا العرش، وهكذا تجمعت في بلاط ليسيماخوس وحول شخصه تلك الدسائس والمؤامرات التي انتهت بأن أعدم ليسيماخوس ابنه أجاثو كليس، وقد هزت هذه الجريمة مملكة ليسيماخوس هزًا عنيفًا، واندفعت كل العناصر الساخطة لترتمي في أحضان سليوقس الذي تقدم

info.jmbush@bmu.edu.ly Dr.salahshalufi@bmu.edu.ly
Mobile +218945429096

مخترقًا جبال طوروس، وفي عام 281 ق.م التقى ليسيماخوس بسليوقس عند كوربيديون بيدا في معركة دارت الدائرة فيها على ليسيماخوس ولقى مصرعه (Rostovtzeff, 1958, pp.19-21).

وعندئذٍ رأى سليوقس آخر قواد الإسكندر الذين عاصروه، أن كل أراضي الإمبراطورية فيما عدا مصر ثمرة دانية عند موطئ قدميه إن شاء التقطها، ولعل فكرة إحياء إمبراطورية الإسكندر قد دارت بخلده إن ذاك، ففي بداية عام 280 ق.م عبر سليوقس الدردنيل ليستولي على مقدونيا قلب الإمبراطورية، متناسيًا ما بذله من وعد بعرش مقدونيا لبطلميوس الصاعقة، وحين رأى هذا الأخير أمله في العرش يتبدد، انقض على سليوقس وقتله، فنادى به الجيش المقدوني ملكًا على مقدونيا (Jouguet, 1928, p166; Tran, 1921, pp.12-13).

ويموت سليوقس في عام 380 ق. م انتهى الجيل الأول من خلفاء الإسكندر، وانتهت هذه الفترة من الحروب الطاحنة التي استمرت ثلاثة وأربعين عامًا وشملت كل أجزاء الإمبراطورية ولعلنا لاحظنا أنه في خلال هذه الأعوام، لم يكن أحد من الملوك الحاكمين يشعر بالأمن أو الاستقرار فوق عرشه، إذ كان لكل منهم أعداؤه ومؤيدوه، وكان كل منهم يبغي توسيع مملكته على حساب الآخرين، وعلى الفترة الممتدة ما بين عامي 323- 280 ق.م، وجد على الدوام واحد من كبار القواد كان يعتبر نفسه خليفة للإسكندر، وكان هذا يلقي دائمًا معارضة عنيفة من القواد الآخرين، فبرديكاس وأنتيجونوس وديميتريوس بل وليسيماخوس وسليوقس أيضًا كل هؤلاء حاولوا بطريقة أو بأخرى إعادة وحدة الإمبراطورية، وأكثر هؤلاء واجهوا أحلافًا كانت تتألف من الآخرين وتهدف إلى كبح جماح أطماعهم، وبهذا فإن فكرة قيام ممالك مستقلة منفصلة بينها نوع من توازن القوى المستند إلى دعائم قوية، لم تثبت إلا بعد أن آلت مقاليد الأمور إلى الجيل الثاني من خلفاء الإسكندر، وإذا عنّ لنا أن نقيم تقيمًا تاريخيًا تلك الفترة العصيبة التي تقرب من نصف القرن، فعلى أي نحو يكون تقييمنا؟ أنها تبدو فترة كانت أجزاء إمبراطورية الإسكندر في خلالها تمور في بوتقة انصهار، وتعاني آلامًا هي أشبه بآلام المخاض التي تسبق الميلاد، ولم يلبث فعلاً أن ولد عمر جديد، على أن الذي يقرأ أخبار هذه الفترة، يتلقى للوهلة الأولى انطباعًا بالغ السوء، إذ تبدو له على أنها مجرد مصادمات لا معنى لها ولا نهاية بين مغامرين لم يكن لهم من هدف سوى توسيع نفوذهم، وهو هدف لم يتورعوا فيه عن ارتكاب ما يبلغ حد الجرائم في سبيل تحقيقه، ثم حروب تتولد عنها حروب أخرى، ومعارك لا تقرر شيئًا ولا تحسم أمرًا، ومدن إغريقية حرة تجرد من حريتها وتثقل بالضرائب وتقمع بالحاميات العسكرية، وقراصنة يقطعون طريق البحر، وأخيرًا غزاة برابرة يجدون الفرصة لاجتياح البلاد المتحضرة ولا يبرحونها إلا بدية.

لكنا لو تمعنا في الدراسة أحسسنا بهذا الانطباع يتأكد في بعض النقاط ويعدّل في البعض الآخر، فلا يستطيع أحد أن ينكر أن خلفاء الإسكندر على العموم كانوا يحاربون من أجل مصالحهم الشخصية، وأنهم لم يكونوا على إخلاص لأسرته، وأنهم لجأوا إلى الدسائس والمؤامرات وجرائم القتل، كما أنهم كانوا أوغادًا في علاقاتهم الأسرية باستثناء القليل منهم، لكن يقابل هذا أشياء نذكرها لهؤلاء الخلفاء وهي رجولتهم غير العادية، ورفضهم الإدمان نهائيًا لأية هزيمة، ومقدرتهم التنظيمية الكبيرة في بعض الآلات، على أن مناط الأهمية الحقيقية لهذه الفترة لا يكمن كثيرًا في شخصياتها التي لعبت الأدوار الرئيسة، بقدر ما يكمن في الأثر الكبير الذي أكفته بإمبراطورية الإسكندر، فيما لا شك فيه أن الحروب في هذه الفترة قد أعنتت الإغريق والمقدونيين وهما العنصران اللذان كانت الجيوش تعبأ منهما أساسًا، كذلك كانت حالة القلق العام التي هيمنت على هذه الفترة عائقًا في سبيل التطور الاقتصادي والنشاط العقلي، ومن وجهة النظر هذه، يمكننا أن نعد مفاجأة موت الإسكندر وعدم وجود خليفة كفء له من أسرته من باب سوء الحظ لإمبراطورتيه (Cary, 1951, p.63).

على أنه بالرغم من التسلح الهائل الذي اتخذه المتحاربون، وصفة الاتصال التي اتسمت بها الحروب، فإن عدد ضحايا الحرب كان قليلاً نسبيًا، لأن القواد خاضوا معاركهم على أسس علمية كانت تمنحهم من التورط في عمليات قتل لا طائل وراءها، وعندما كان يجري احتلال

مدينة من المدن، لم يكن يجري فيها بيع أو استرقاق أو قتل بالجملة، وبالرغم من أن كثيرًا من المدن الإغريقية قد أبقيت فيها حاميات عسكرية، فإن استقلالها الذاتي كان مرعبًا من الناحية الظاهرية على الأقل، أما نفقات الحرب لم تأت عن طريق ضرائب أبهظت كاهل الناس، بل أتت من غنائم الحرب (Cary, 1951, p.64).

وفي النهاية ينبغي أن نقر بأن انقسام إمبراطورية الإسكندر كان أمرًا محبذًا في حد ذاته، وقد كان من المحتمل أن تظل هذه الإمبراطورية قائمة، لكن لم يكن أحد غير الإسكندر بقادر على أن يحتفظ بوحدتها ويحمل على كاهله عبء تطوير مواردها، بل لعل الإسكندر نفسه لم يكن يقدر على ذلك، ومن ثم فإن تقسيم الإمبراطورية كان مطلبًا يقتضيه حسن الإدارة في المستقبل، هذا إلى أن الخطوط الرئيسة للتقسيم الذي جرى والذي بزغت منه قوة من الطراز الأول في كل قارة من القارات الثلاث، كانت متمشية على العموم مع الاعتبارات الجغرافية، ولم يكن عام 275 ق. م بالوقت المتأخر لبداية جديدة تتخذ طريقها تحت نوع من الرعاية أفضل وفي ظل أمل أكبر، ولهذا كان تاريخ الممالك الهللينيستية قد سار بالرغم من هذا في مسار خاطئ، فإن اللوم ينبغي أن يقع أساسًا على خلفاء الخلفاء (Rostovtzeff, 1958, p.27).

وعلى أي حال، فإنه في عام275 ق. م كانت الممالك الهللينيستية قد استقرت، وأصبح يقتسم النفوذ في العالم الهللينيستي ثلاث ممالك عظيمة هي: مملكة البطالمة، وكانت تضم مصر وإقليم كورينايكا وجوف سوريا، وتسيطر على عصبة الجزر وتمتلك أقوى قوة بحرية في العالم الهللينيستي، ومملكة السليوقيين، وكانت تشمل ولايات إمبراطورية الإسكندر في بلاد ما بين النهرين، وأغلب الولايات الشرقية وجانبًا كبيرًا من آسيا الصغرى والشام فيما عدا "جوف سوريا"، ومملكة الأنتيجونيين (Tran, 1921, p14; Walbank, 1992, p.71) في مقدونيا، وكانت تعتبر نفسها سيدة بلاد الإغريق البلقانية، وتسطير فعلاً على بعض المدن فيها مثل خاليكس وكورنثه (Tran, 1921, p.14)، ولعلنا نلاحظ أن الممالك - بهذه الصورة - كانت إلى حد كبير تعود إلى الوضع الذي كانت عليه قبل الإسكندر الأكبر، مع تغيير هوية الحكام الذين غدوا جميعًا من المقدونيين، فكان بطلميوس الثاني يتربع على عرش فرعون، وإن كان يسيطر على بعض أقاليم لم تصل إليها قط سيطرة الفراعنة، وكان أنطيوخوس الثاني السليوقي يضع يده على أكثر ممتلكات الأخمنيين بعد فقدانهم مصر والهند، وكان أنتيجونوس حكم معظم الأراضي التي حكمها فيليب الثاني عدا تراقيا، لكن الاختلاف الذي وجد بين ما قبل الإسكندر وما بعده كان اختلافًا جدًا عظيم، ذلك أن حضارة جديدة قد اتخذت وضعها في مصر وآسيا رسميًا، وإلى حد ما واقعيًا كما اتخذت هذه الحضارة تمتد إلى دول شبه بربرية كمملكة بيثينيا، وهذا يجلي لنا الحقيقة التالية، وهي أن عمل الإسكندر لم يكن عسكريًا أو سياسيًا في المحل الأول، وإنما كان عملية حضارية (Cary, 1951, VII, p.108).

وحين ننظر إلى مظهر هذه الممالك الهللينيستية الجديدة كما استقرت منذ عام 275 ق.م، نلمح في ثلاثها بعض الخصائص والأهداف المشتركة، وحين نمعن النظر في أهدافها المشتركة هذه، ندرك أسباب وطبيعة الصراع الذي كان لا بد من أن يقوم بينهما، أما من حيث الخصائص فبالرغم من أن كل الممالك الجديدة كانت تنتمي إلى العالم المتحضر منذ عهود سابقة على الإسكندر بزمن بعيد، وكانت نظمها الاجتماعية والاقتصادية وحضارتها بوجه عام متباينة أشد التباين، فقد كان هناك ما يبرر الدعوى بانتماء هذه الممالك جميعًا إلى مجموعة "الدول الهللينيستية" ذلك أن مرحلة جديدة من التطور السياسي بدأت في تلك الفترة في كل هذه الممالك تحت حكم أسر جديدة؛ لأن هذه الأسر نظمت ممالكها وفق أنماط جديدة متشابهة تقريبًا، وكانت هذه الأنماط - في خطوطها العامة - إحياء لنظم كان الإسكندر الأكبر قد اختطفها لإمبراطورتيه، ولما كان يسود هذه الممالك شعور عميق بالإعجاب والاحترام للثقافة الإغريقية، فقد اتخذت كلها مظهرًا "هللينيًا" وحاول حكامها تهللينها بطريقة أو بأخرى، ولعل في هذا ما يشير إلى أن الملوك كانوا يشعرون بأن ممالكهم أجزاء من عالم واحد - العالم الذي أوجدته عبقرية الإسكندر - بالرغم من أنهم جميعًا جاهدوا من أجل استقلالهم السياسي، ودافعوا عنه منذ اللحظة الأولى ضد كل من

يتهدده بالسعي وراء توحيد ذلك العالم الهللينيستي وقد تشابهت الممالك في أفكارها ومثلها السياسية، على نحو ما تشابهت فيما أخذت به من نظم ولم تكن هذه المثل تختلف كثيرًا عن مثل المدينة الحرة الإغريقية، ففكرة الاستقلال والاستكفاء الذاتي سياسيًا، وإحراز قدر من الزعامة والهيمنة، كانت هي الدوافع الدائمة وراء سياستها، كذلك تشابهت الأهداف الاقتصادية للممالك، فكانت كل منها تبغي أكبر قدر ممكن من الاستكفاء الذاتي الاقتصادي، باعتباره ركيزة للاستقلال السياسي ولبلوغ ذلك، حاول الحكام أن يطوّروا إلى أقصى درجة مواد ممالكهم، وأن يعبئوا وينظموا كل القوى المنتجة لشعوبهم، ويضيفوا إليها قوى جديدة هي قوى المهاجرين إلى ممالكهم من الإغريق، كما أنهم حاولوا أن يحملوا منتجات بلادهم إلى أوسع الأسواق، بإقامة علاقات تجارية على أوسع مدى استطاعوه، واقتضى ذلك منهم فتح ممالكهم لبقية العالم واجتناب العزلة الاقتصادية، وكانت أضمن الوسائل لذلك هي التحكم في الطرق التجارية برًا وبحرًا (Rostovtzeff, 1958, p.249).

هذه الأمور التي كانت تشكل خصائص عامة للممالك الهللينيستية، وهذه الغايات المشتركة، والوسائل المتشابهة لتحقيق هذه الغايات أيضًا، توضح لنا طبيعة النزاع الذي كان لا بد من أن يقوم بين هذه الممالك، كما تحدد لنا بعض أسبابه، ولنذكر مثلاً احتياج هذه الممالك جميعًا إلى جهود الإغريق في شتى مجالات العمل السياسي والاقتصادي والعسكري، ترتكز على شيء واحد وهو تفوق الجيوش الإغريقية - المقدونية، وقدرة الأساليب الاقتصادية على النهوض باقتصاديات البلاد وتنظيم الأداة الحكومية، ومع استشعار هذه الحاجة الملحة إلى الإغريق حاول الملوك مد سلطانهم إلى أبعد مدى ممكن في العالم الإغريقي، وسعى حكام مصر وآسيا إلى اجتذاب الإغريق إلى ممالكهم بشتى الوعود، ومن البديهي أن أكثر هذه الوعود احتمالاً في التحقيق في نظر الإغريق، كانت التي يبذلها ملك قوي البأس عظيم السلطان (Jouguet, 1928, p.179).

وسوف نرى الممالك دائمة التصارع في غضون القرن الثالث من أجل السيطرة على شواطئ بحر إيجه وجزره، بل ومن أجل ممارسة النفوذ في بلاد الإغريق الأصلية ذاتها، فقد كان هذا الهدف المشترك هو المحور الأساسي الذي دار حوله النشاط السياسي للممالك الثلاث، ولذلك يجدر بنا أن نلقي نظرة عابرة على الأحوال بلاد الإغريق إبان فترة نصف القرن الممتدة بين وفاة الإسكندر الأكبر واستقرار الممالك الهللينيستية، لنرى إلى أي مدى كانت أحوالها مواتية لتحقيق أهداف هذه الممالك.

- أحول بلاد الإغريق السياسية والاجتماعية والاقتصادية في الفترة الواقعة ما بين وفاة الإسكندر وبين نهاية الربع الأول من القرن الثالث قبل الميلاد:

لقد كانت بلاد الإغريق آخذة منذ أوائل القرن الرابع قبل الميلاد في الانحلال والتدهور، كما أن نظام المدينة الحرة "Polis" وهي السمة القوية البارزة التي ميزت بلاد الإغريق منذ بدأ التاريخ يلقي أضواء عليها، كان آخذاً في الاضمحلال والأفول، والحق أن هذا النظام الذي قيل إنه كان السبب فيما بلغته البلاد من ازدهار حضاري، كان هو ذاته المسؤول عما أصابها آخر الأمر من فوضى واضطراب، ذلك أن الانفصالية السياسية التي استمسكت بها المدن الإغريقية قد أدت بالضرورة إلى وقوع ذلك التنافس الشديد الذي أغرق البلاد في حروب متصلة أنهكت قواها جنبًا إلى جنب عوامل الانفصال الداخلية التي مزقت أوصالها، وصادف الوقت الذي بدأ فيه تدهور بلاد الإغريق ظهور قوة فتية إلى الشمال منها وهي المملكة المقدونية التي أصبحت على عهد ملكها فيليب وبفضل جهوده، دولة موفورة القوة والحيوية، ولها جيش مدرب أحسن تدريب، ورأى فيليب أن ينتهز حالة الضعف التي انتابت المدن الإغريقية ليوحدها تحت زعامة مقدونيا سياسيًا وحربيًا، ويقودها في حرب انتقامية ضد الفرس، أعداء العرب القدماء الذين كانوا يشكلون خطرًا داهمًا مقيمًا على الأبواب، لكن مشروع فيليب لقى معارضة مريرة من الجانب الأكبر من

الإغريق، فقد رأوا في فيليب نفسه خطرًا مباشرًا يتهدد حريتهم التي كانوا ليرضون عنها بديلاً، ولذلك تألفت العدوتان اللدودتان آثينا وبيوتيا من أجل دفع هذا الخطر، لكن فيليب أنزل بالإغريق في عام 338 ق.م هزيمة ساحقة في واقعة خايرونيا Chaeronia وألف من أكثر المدن الإغريقية عصبة جعل مقرها كورنثة (Glotz, 1929, p.382).

ويعتبر انتصار فيليب في خايرونيا بداية مرحلة جديدة في حياة الإغريق السياسية فعام 338 ق.م يمثل نهاية نظام " المدينة الحرة " وقد يقال أن هذا كان منذ بواكير القرن الرابع يعاني صعوبة في المحافظة على كيانه، بسبب الدروس العملية التي أثبتت عجزه عن حل مشكلات بلاد الإغريق سواء في الداخل أم في الخارج، وقد يقال – بحق أيضًا – أن نظام المدينة الحرة استمر بعد عام 338 ق.م قائمًا في بلاد الإغريق بصورة أو بأخرى، لكن لا شك أن هذا العام يحدد النهاية الحقيقية لحرية المدن الإغريقية، وخضوع بلاد الإغريق كلها لقوة أجنبية (Glotz, 1929, p.382).

ولعل من ينظر إلى ميثاق العصبة الذي اعلن في كورنثه يخيل إليه أن وضع الإغريق بالنسبة إلى فيليب حليف قوى، لا وضع الرعايا بالنسبة إلى سيد متحكم، وأن العصبة كانت تهيىء للإغريق الفرصة لتحقيق الحلم القديم في الوحدة، وهو الحلم الذي راود الفكر السياسي الإغريقي منذ مطلع القرن الرابع قبل الميلاد، وتمثل في كتابات جورجياس الليونتيني (Gorgias Leontini) وليسياس (Lysias) وإيسوقراط (Isocrates) (Glotz, 1929, p.354) ذلك أن العصبة ضمت كل المدن الإغريقية في البلقان إلى الجنوب من أوليمبوسا فيما عدا إسبرطة، كما ضمت كثير من مدن الجزر، وانتظم في حلف فيدرالي كان يعبر عنه نفسه باسم بسيط هو الإغريق، وتحددت أهداف الحلف في رعاية السلم العام والعمل المشترك لمقاومة من يحاول انتهاكه، واحترام حرية الأعضاء وكفالة استقلالها الذاتي في ظل دساتيرها القائمة، وقمع كل أعمال النهب والقرصنة، وضمان حرية الملاحة والتجارة، أما الإدارة الحكومية بهذا الحلف الفيدرالي، فكان يتولاها مجلس مثلت فيه كل مدينة حليفة بعدد من الأعضاء المنتخبين يتناسب مع عدد سكانها، وإلى جانب هذا، لم تكن المدن تدفع أي ضرائب مقررة، وإن كانت قد تعهدت بتقديم القوات البرية والبحرية التي يطلبها مجلس الحليف (Hammond, 1959, p.751; Jouduet, 1928, pp.65-66).

لكنه بالرغم من كل هذه المظاهر الاستقلالية التي بدأ أن ميثاق العصبة كان يوفرها للمدن الإغريقية، فإن واقع الأمر هو أن الإغريق فقدوا حريتهم السياسية فقدًا تامًا بعد خايرونيا، وقد كانت هيمنة مقدونيا الملكية المطلقة تتضارب مع مشاعر الإغريق وتقاليد "المدينة الحرة" ومثلها، حقًا أنه كان من مبادئ العصبة المحافظة على النظم والدساتير، وعدم إلزام المدن بدفع الضرائب، لكن المدن حرمت أهم حق من حقوق السيادة، وهو حرية انتهاج السياسة الخارجية التي تروق لها، كذلك ينبغي ألا ننسى مغزى وجود الحاميات العسكرية التي وضعها فيليب في كورنثه وخالكيس وأمبراكيا والتي أراد بها خضوع بلاد
الإغريق له خضوعًا (Hammond, 1959, p.600). ولا ريب في أن أكثر الإغريق سخطوا أشد السخط على فقد حريتهم السياسية، وشعروا بالضيق إزاء هذه الوحدة المفروضة عليهم، بالرغم من انطوائها على هدف قومي لامع وهو محاربة الفرس، وليس أدل على سخط الإغريق من جنوحهم إلى الثورة طلبًا لحريتهم فور سماعهم نبأ مقتل فيليب، وعندما سارع الإسكندر إلى قمع هذه الثورة بعنف، وسحق مدينة طيبة في عام 335 ق.م تبدلت النظرة إلى العصبة الإغريقية حتى عند أولئك الذين كانوا موالين لها من الإغريق، فلم تعد هذه العصبة في نظرهم رابطة سياسية بين اتحاد المدن الإغريقية ومقدونيا، بل أداة يتحكم فيها الملك المقدوني المطلق السلطة، ولم يخفف تأليه الإسكندر من واقع أوامره في نفوس الإغريق، ولذلك فإنه لم تكد أنباء وفاته تصل إلى أسماعهم حتى عاودوا الثورة مرة أخرى، ولم ينته عام وفاته (323 ق.م) حتى اشتعلت الحرب اللامية Lamia في بلاد الإغريق (Hammond, 1959, p.600).

قد استطاع القائد أنتيباتروس أن يقضي على ثورة الإغريق هذه المرة أيضًا، وسارع الإغريق إلى طلب الصلح الذي أصبح أنتيباتروس أن يفرض عليهم فيه ما شاء من شروط الحكم، توسع انتيباتروس في نظام وضع الحاميات في المدن، بل وألزم هذه المدن تغطية نفقات تلك الحاميات، وأجرى تعديلات في دساتير بعض المدن لصالح الطبقات الثرية، ولعل ما يمثل سياسة انتيباتروس إزاء بلاد الإغريق عقب الحرب على العموم هو سلوكه مع آثينا التي أجرى في دستورها تعديلات جمة (Cary, 1951, p.9).

هكذا نرى أن الحرب اللامية قضت على ما تبقى من الحرية الإغريقية قضاءً مبرمًا، وهزت الأنظمة الديمقراطية هزًا عنيفًا، ولم ينل الإغريق لقاء هذا الذي فقدوه وحدة أو استقرار، إنما استمرت هذه البلاد، التي تأصلت فيها النزعة الطردية منذ بداية تاريخها، تحيا حياة التنافس والأحقاد والحروب، وأضيف إلى هذا كله عنصر جديد ضاعف آلام الإغريق وزاد مشكلاتهم تعقيدًا، أعني بالطبع "حروب الخلفاء" التي جرى جانب كبير منها على الأرض الإغريقية وبجيوش وأساطيل كانت في أساسها إغريقية أيضًا، وأصبحت البلاد نهبًا لمطامع القواد المقدونيين، وتحولت قضية الإغريق إبان هذه الحروب إلى مجرد ورقة يلعب بها هذا القائد أو ذاك، مستخدمًا إياها في حرب الدعاية السياسية ضد الآخر، على نحو ما مر بنا من قبل، وضعفت فكرة الحرية الإغريقية عند الإغريق أنفسهم، وما لقيته هذه الإعلانات لدى الإغريق من استجابة بدرجة متفاوتة (Cary, 1951, p.26).

لكن فكرة الحرية القديمة كانت قد جنت، ولم تكن الثورات التي قامت أكثر من مرة في آثينا أو في طيبة ضد ديميتريوس إلا أشبه بانتفاضات تشنجية، بل إننا نلاحظ تقهقر فكرة النظام الجمهوري ذاتها، فلا نجد عند الإغريق ذلك الاهتمام القديم بالحياة السياسية في ظل نظام المدينة الحرة، وإنما نكاد نلمس عزوفًا عن هذا النظام يتزايد بإطرار، كذلك نستطيع أن نرصد في الفكر الإغريقي ابتداء من هذه الفترة اتجاهًا واضحًا نحو النظام الملكي، ولعل هذا الفكر كان تعبيرًا في مجال الفكر السياسي عن الأمل في أن تنتهي على يد الملكية تلك الفوضى العارمة التي سادت البلاد (Cary, 1951, p.121).

وإلى جانب انهيار الحياة السياسية، تدهورت أحوال بلاد الإغريق الاجتماعية والاقتصادية ومنذ بداية القرن الرابع قبل الميلاد كانت الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المدن الإفريقية تتسم بظاهرتين رئيسيتين: الأولى هي انحدار عدد كبير من السكان إلى وضع الدهماء، مع ما استتبع هذا من ازدياد حدة مشكلة البطالة، والثانية هي النقص الكبير في المواد الغذائية (Tarn, 1921, p.121).

فإذا بحثنا في الأسباب الحقيقية لهذا الاضطراب الاقتصادي والاجتماعي طالعتنا في المحل الأول الحروب والثورات التي اضطرمت في بلاد الإغريق في تلك الفترة وذلك بكل ما للحروب والثورات من تأثيرات وآثار عامة، ومع ذلك فإن الحروب والثورات لا تكفي وحدها لتفسير ظواهر الاضطراب والأزمة الاقتصادية في أخريات القرن الرابع في بلاد الإغريق كان مردها أساسًا إلى الاتجاه العام الذي مضى فيه التطور الاقتصادي في العالم القديم كله، ويبدو أنه وجد في القرن الخامس نوع من التوازن بين الإنتاج والاستهلاك، ومن ثم كانت أحوال الأسواق مستقرة، وكانت بلاد الإغريق قاصرة على أن توفر احتياجات سكانها المتزايدين، أما في القرن الرابع فقد أنهار هذا التوازن تمامًا(Rostovtzeff, 1958, p.99) ولربما بدا لنا وكأن الأحداث السياسية في الربع الأخير في القرن الرابع قد خففت من حدة هذه الأزمة الاقتصادية، وأعني بهذه الأحداث حملات الإسكندر الأكبر في الشرق، ذلك أن بلاد الإغريق أصابت من هذه الحملات ثراءً جاء بها من سُبل شتى، ومنها الهيبات والمنح المباشرة وتهيؤ الفرص أمام الإغريق والمقدونيين لزيادة نشاطهم والتجاري وتنوعه، وانفتاح أسواق جديدة للبضائع الإغريقية، هذا إلى جانب أن الخدمة في جيوش الإسكندر لم تكن تعني، بالنسبة إلى جنود الإغريق، الخلاص ولو مؤقتًا من حالة البطالة بحسب، بل ثراء مؤكد لأولئك الجنود الذين عادوا إلى وطنهم (Rostovtzeff, 1958, pp.129-135).

لكن الحقيقة هي أن هذا الرخاء الذي شهدته بلاد الإغريق إبان عهد الإسكندر كان رخاءً مظهريًا بدأ في تكدس رؤوس الأموال وسرعه التبادل التجاري وما إلى ذلك غير أنه لم يكن يعني أن البلاد تخلصت من مشاكلها الاجتماعية والاقتصادية، لأن الطبقات العاملة الساخطة كانت آخر من أفاد من هذا الرخاء، ثم لم تلبث حروب الخلفاء أن اعنتت البلاد، وكانت جيوش القواد المتحاربين تعتمد في مئونتها في كثير من الأمان على المدن الإغريقية، وألزمت بعض المدن - وبالأخص مدن الجزر - بتقديم العون للجيوش المتحاربة، أما في صورة ضرائب منتظمة أو معونات غير منتظمة، كذلك فإن لجوء بعض الخلفاء إلى سياسة حرية المدن الإغريقية، قد جعل هذه المدن في حالة دائمة من التوتر والترقب والاستعداد للحرب.

وبعد، فلعله يتبين لنا من هذه النظرة العابرة التي ألقيناها على أحوال بلاد الإغريق السياسية والاجتماعية والاقتصادية إبان فترة حروب الخلفاء، أن تاريخ هذه البلاد في هذه الفترة ليس إلا تسجيلاً لأفول نظام المدينة الحرة عمليًا بعد أن دمغته أقلام الفلاسفة بالفشل من قبل، ونتيجة لموت الحرية الإغريقية بعد طول احتضار، واستمرار الحروب الداخلية والصراع الطبقي والقلق الاجتماعي، وقد كان لا بد أن يؤدي هذا الانهيار السياسي والتدهور الاقتصادي والاجتماعي إلى اندفاع تيارات عن الهجرات الإغريقية، وكان طبيعيًا أن يتجه الإغريق إلى أقطار الشرق التي اجتذبتهم قبل ذلك الوقت بأمد بعيد، ولقد رحب حكام الشرق بالمهاجرين الإغريق، وفتحوا لهم أبواب ممالكهم على مصاريعها وأنزلهم منها منزلة رفيعة ممتازة، وأصبح العنصر الإغريقي من أهم مقومات تلك الممالك.

أما الدور السياسي الذي بدأت بلاد الإغريق تلعبه في مجريات الأحداث العالمية بعد أن استقرت الممالك الهللينيستية، فكان دورًا سلبيًا ثانويًا، فقد كان على تلك البلاد المنهوكة أن تتدبر أمرها مع قوى فتية كبيرة بدأت تحيد بها من الشرق ومن الغرب، وهو أمر كان يعجزها تمامًا، ولقد بذلت تلك القوى الكبيرة غاية جهدها الإحراز السيطرة على بلاد الإغريق، نظرًا لما كان لها من أهمية مادية باعتبارها مستودع الطاقة البشرية الذي يمدها بالجنود والفنيين، وأهمية أدبية باعتبارها مهد الحضارة التي كان العالم القديم في تلك الفترة مندفعًا بكل ثقله إليها، ولعلنا نشعر من بعد أن الدور الذي أدته بلاد الإغريق في صراع الممالك الهللينيستية بعضها مع بعض، أو في علاقة الشرق الهللينيستي مع روما كان محددًا بهذه الأبعاد محصورًا في هذا النطاق.

- ظهور قوة روما وسيطرتها على شبه الجزيرة الإيطالية في الربع الأول من القرن الثاني قبل الميلاد:

وماذا كان يجري في القسم الغربي من البحر المتوسط، في الوقت الذي كان شرقية يضطرم بأحداث الصراع بين خلفاء الإسكندر، وكان نجم بلاد الإغريق آخذًا في الأفول؟

لقد كان الحوض الغربي من البحر المتوسط يشهد قيام قوة فتية جديدة على أرض شبه جزيرة إيطاليا هي قوة روما، وعندما آذنت حروب الخلفاء في الشرق بالانتهاء واستقرت الممالك الهللينيستية الكبرى الثلاث، كانت هذه القوة قد هيمنت على كل إيطاليا ووحدتها تحت زعامتها، وأخذت تتهيأ لتلعب دورها الخطير على مسرح الأحداث في حوض البحر المتوسط ومنذ القرن السادس قبل الميلاد، كانت تتنازع النفوذ في تلك المنطقة قوتان الإغريق والقرطاجنيون، أما الإغريق فكانون قد أنشأوا منذ القرن الثامن وفي مدى ثلاثة قرون عددًا كبيرًا من المستعمرات في جزيرة صقلية وعلى الساحلين الجنوبي والغربي لإيطاليا حتى قام في هذه المنطقة عالم إغريقي قائم بذاته أطلق عليه اسم " بلاد الإغريق العظمي " ومارس الإغريق نشاطًا تجاريًا ضخمًا، بيد أنه لم يكن مقدرًا للإغريق أن يصبحوا قوة سياسية كبيرة، لأنهم حملوا إلى عالمهم الجديد في الغرب نفس النزعة الانفصالية التي طبعت تاريخهم في بلادهم الأصلية، كما حملوا روح التنافس والتناحر التي أضعفتهم وشتت قواهم وإمكانياتهم طوال تاريخهم (إبراهيم نصحي، 1998، ص244-245).

أما قرطاجنة فقد أسسها على ساحل أفريقيا الشمالي قرب مدينة تونس مستعمرون من مدينة صور الفينيقية عام 814 ق.م، بذلك كانت إحدى المستعمرات التي أنشأها الفينيقيون في غرب البحر المتوسط، وكان الملاحون النشطون من أهل صور قد بدأوا يفدون إلى حوض البحر المتوسط الغربي منذ القرن الحادي عشر قبل الميلاد، حيث توزعوا في أطرافه، وأنشأوا مستعمرات تجارية عديدة كانت أقدمها بلدة أوتيكا "Utica" التي أسست حوالي عام 1100 ق.م، لكنه كان مقدرًا لقرطاجنة "المدينة الجديدة" أن تبرز على المستعمرات القديمة جميعًا بفضل الموقع الممتاز الذي تخيره لها الملاحون الفينيقيون في مواجهة طرف جزيرة صقلية الغربي، وعند نقطة التقاء طرق تجارية بحرية، فقد كان هذا الموقع يتيح لها الفرصة للقيام بنشاط تجاري ضخم، والسيطرة على سواحل البحر المتوسط (إبراهيم، 1998، ص244-245)

أصابت قرطاجنة من نشاطها التجاري ثراءً طائلاً مكنها من بناء أسطول حربي وتجاري، وتنظيم جيش يقوده ضباط قرطاجيون، وإن كان كله أو جله من المرتزقة من الوطنيين الليبيين، وعاشت المدينة في حالة استقرار سياسي أيضًا في ظل دستور أتى أرسطو على وصفه في كتاب السياسة (Aristo Tales, Politics, II8) ومن ناحية أخرى شرعت قرطاجنة تنتهج سياسة استعمارية وبدأت منذ أوائل القرن السادس تتزعم المدن الفينيقية السامية في صراعها مع الإغريق من أجل السيطرة على التجارة في المنطقة، واستعان القرطاجيون على الإغريق بالأترورييين، أصحاب السلطة في إيطاليا وقتئذٍ، وفي نهاية سلسلة طويلة من الحروب أفلح القرطاجيون في طرد الإغريق من الجزء الأكبر من شواطئ أسبانيا، حتى لم يعد الإغريق إلا سيطرة غير محكمة على الجزء الشرقي من صقلية وحسب، وبات لقرطاجنة في الربع الأول من القرن الثالث إمبراطورية تضم جانبًا كبيرًا من شواطئ شمال أفريقيا وشواطئ جنوب إسبانيا وجزيرتي سردينيا وكورسيكا، والجزء الغربي من صقلية (Cary, 1951, p.142).

وفي الوقت الذي بدأ فيه الصدام بين هاتين القوتين المتنافستين في غربي البحر المتوسط، لم تكن روما سوى مدينة صغيرة في سهل لاتيوم Latium تخضع لحكم الملوك الأترورييين، لكنها لم تكد تتخلص من هذه السيطرة الأترورية وتأخذ بنظام الحكم الجمهوري في الأعوام الأخيرة من القرن السادس قبل الميلاد، حتى بدأت تسعى إلى السلطة سعيًا حثيثًا، واشتبكت المدينة الناشئة في سلسلة من الحروب توالت على مدى فترة تبلغ نحو قرنين ونصف قرن، وحين انتهت آخر حلقات هذه الحروب عند نهاية الربع الأول من القرن الثالث قبل الميلاد، كانت روما قد أفلحت في توحيد الجزء الأكبر من إيطاليا، وتبوأت مكان الزعامة في شبه الجزيرة جميعًا(Frank, 1929, p.142).

وقد جرت تلك الحروب الرومانية في إيطاليا في عدة أشواط، وكان طبيعيًا أن تخوض روما أول هذه الأشواط من أجل إحراز السيادة في سهل لاتيوم، والدفاع عن هذه السيادة ضد الأخطار العديدة التي كانت تتهددها، أما من جانب قبائل الأيكوي Aequi والفولسكي Volosci التي كانت لا تفتأ تغير على سهل لا تيوم من مواقعها في الجبال، أو من جانب المدن الأترورية في الشمال أو قبائل الغال الذين بلغ خطرهم إلى حد دخول مدينة روما نفسها (391- 390 ق.م) حيث أعملوا فيها نهبًا وتخريبًا، إلى جانب حلفاء روما اللاتين أنفسهم، وهم الذين كانوا يتربصون بحليفتهم القوية، ولم تنته روما من هذا الشوط إلا في عام 338 ق.م حين خضع لها سهل لاتيوم.

وقد كان لا بد من أن تثير هذه الانتصارات الرومانية اهتمام قرطاجنة، ففي عام 348 و343 ق.م نجد قرطاجنة توقع مع روما معاهدتين، وقد كان توقيع قرطاجنة هاتين المعاهدتين في حد ذاته دليلاً أنه قد أصبح لروما قوة يعتد بها في إيطاليا، وعلى بداية انتباه قرطاجنة لهذه القوة الجديدة، كما أنه يشير من ناحية أخرى على اتساع الأفق السياسي للدولة الرومانية الناشئة، ومنذ عام 325 ق.م عادت روما تشتبك في سلسلة جديدة من الحروب عرفت باسم الحروب السمنية، واستغرقت من الزمن أكثر من ثلاثين عامًا، في ذات الوقت الذي كانت نيران حروب خلفاء الإسكندر فيه مندلعة في شرقي البحر المتوسط، وكان على روما في خلال هذه الأعوام أن تتصدى لحلف ضخم تألف لا من شعوب السمنيين وشعوب الوسط والأترورييين فحسب، بل من

قبائل الغال في الشمال أيضًا، لكن روما خرجت من الحروب السمنية حوالي عام 295 ق.م ظافرة ظفرًا شاملاً ترتب عليه امتداد رقعة أملاكها في إيطاليا إلى نحو اثنين وثمانين ألف كيلو متر مربع، أي نحو ثلاثة أرباع شبه الجزيرة الإيطالية، ولم يبق في خارج حدود الدولة الرومانية إلا مقاطعة بروتيوم ومنطقة المدن الإغريقية في الجنوب حتى يتم لروما توحيد إيطاليا (Frank, 1929, p.143).

ولم تلبث الفرصة أن واتت لأن تدخل روما في شؤون الإغريق في الجنوب، ففي عام 282 ق.م وقع خلاف بين روما وبين مدينة تارنتوم التي كانت تتزعم إغريق الجنوب، والتي لم تكن مشاعرها إزاء الرومان وهم يمدون نفوذهم جنوبًا مشاعر ودية بأية حال، وأخذ الخلاف بين الفريقين يتعقد حتى أفضى إلى نشوب الحرب وأرسلت تارنتوم تطلب العون من ملك إغريقي طموح كانت شهرته قد ذاعت منذ حين وهو بيروس ملك إبيروس (Cary, 1951, p.100) ولبى بيروس نداء المدينة الإغريقية وفي ذلك طموحه إلى أن يكون لنفسه إمبراطورية في الغرب، وقام بيروس بعدة عمليات حربية في إيطاليا، لكن حملته لم تلق نجاحًا فرجع إلى بلاده، تاركًا تارنتوم تلقى مصيرها على يد روما التي لم تتردد طويلاً في إسقاطها، وقد تبع سقوط تارنتوم ضم المدن الإغريقية في الجنوب إلى الدولة الرومانية وكان معنى هذا هو أن توحيد إيطاليا قد تم، وأن شبه الجزيرة قد أصبحت كلها تحت زعامة روما (إبراهيم نصحي، 1998، ج1، ص133).

ويهمنا ونحن نذكر حرب روما مع بيروس، باعتبارها آخر أشواط حروبها لإقرار الوحدة الإيطالية، أن نبرز نقطتين: النقطة الأولى هي أن غزوة هذا الملك الطامح القادم إلى إيطاليا من ناحية الشرق قد ظلت حية في ضمير الرومان، وأن تذكرهم هذا الغزو قد شارك في تجسيد شعورهم بالخوف من هجمات ملك مقدونيا فيليب الخامس التوسعية، والنقطة الثانية هي أن روما لم ترث من تارنتوم الهيمنة على المدن الإغريقية في الجنوب فحسب، بل وثبت عنها كذلك ممارسة العلائق التجارية التي كانت قائمة بين هذه المدن والشرق، غير أن حرب روما ضد بيروس لم تكن إيذانًا بنهاية آخر مرحلة من مراحل توسعها في إيطاليا فحسب، بل كانت إرهاصًا بتقدمها إلى ميدان أرحب، ففي عام 273 ق.م عقد بطلميوس الثاني ملك مصر معاهدة صداقة مع الرومان، ومهما يكن من أمر الخلاف بين المؤرخين المحدثين حول طبيعة هذه المعاهدة، فإنها كانت تعني على أي حال أن الجمهورية الرومانية أصبحت وقد أحرزت اعترافًا بأنها إحدى القوى الكبرى التي كان لها أن تؤدي دورًا رئيسًا في سيادة البحر المتوسط (Ploybius, 1927, III, 25).

لكن هذه المعاهدة الموقعة مع إحدى القوى الشرقية الفتية لا ينبغي أن توحي إلينا بأن اهتمام روما السياسي قد بدأ يتجه شرقًا، فلسوف نبين فيما بعد حيف أن الغرب ظل هو شغل روما الشاغل فترة ليست قصيرة بعد ذلك، حيث كانت هناك قرطاجنة بقوتها البحرية المتزايدة ولقد كانت علاقة روما بقرطاجنة غداة إتمام الوحدة علاقة ود وسلام، بل أنه في أثناء حرب روما مع بيروس، تقدمت قرطاجنة تعرض معونتها العسكرية والمادية على روما وعُقدت بين الطرفين في عام 279 ق.م (Mattingly, 1921, pp.23 ff; Neatby, 1950, p.93) جددت المعاهدتين القديمتين التي سبق أن أشرنا إليهما من قبل وإذا لم يكن أحد من الطرفين قد قدم بالفعل مساعدة حربية للآخر، فإنه لا يستبعد أن يكون الرومان قد تلقوا معونة مالية من حلفائهم.

لكنه بالرغم من هذه العروض والمظاهر الودية، فإن الشكوك تراود الرومان في أن يحاول القرطاجيون التحكم في السواحل الإيطالية على نحو ما سيطروا على شواطئ إسبانيا وصقلية (Cary, 1951, p.144) ولهذا نجد في كل معاهداتهم الثلاث مع القرطاجيين التركيز على ألا يتخذ القرطاجنيون مواقع دائمة لهم على الأراضي الإيطالية، وتنعكس هذه الشكوك في إرسال الرومان في عام 311 ق.م أسطولاً صغيرًا للقيام بدوريات تحفز الساحل الإيطالي، وهكذا أشغلت شؤون البحر المتوسط اهتمام تلك القوة الجديدة الناشئة على الأراضي الإيطالية.

ـ الخاتمة:

انتهت إمبراطورية الإسكندر، إذًا ليشهد الإقليم المطل على القسم الشرقي للبحر المتوسط صراعًا مديدًا مريرًا بين قواد الإسكندر وحلفائه تمخض في النهاية ميلاد ممالك جديدة أسسها هؤلاء القواد وأصبحوا حكامًا عليها، وأقرت تلك الممالك عند نهاية الربع الأول من القرن الثالث نوعًا من توازن القوى، ودولة إيطاليا موحدة للمرة الأولى في التاريخ، قامت في غربي البحر المتوسط ووقفت وجهًا لوجه أمام قوة أقدم هي إمبراطورية قرطاجنة ذات القوة البحرية التجارية والمطامع التوسعية الاستعمارية، بعد أن أصبحت تلك الدولة الإيطالية إحدى القوى الكبرى في العالم المتحضر، وتوفرت لها قوة عسكرية أعظم من قوة أي من الممالك الكبرى الشرقية، إن لم يكن من حيث العدد، فمن حيث التنظيم وبراعة الجند وقوة الولاء لدولة، وبين هذه القوى الشرقية والغربية الجديدة كانت تقف بلاد الإغريق ممزقة منهمكة القوى، عاجزة عن تدبر أمرها مع أي ريح قد تهب عليها من غرب أو شرق، وكل من القسمين لا يبدي من مظاهر الاهتمام السياسي بالآخر شيئًا، بالرغم من قيام الصلات التجارية والثقافية بينهما.

info.jmbush@bmu.edu.ly Dr.salahshalufi@bmu.edu.ly
Mobile +218945429096

- قائمة المصادر والمراجع:

أولاً- المصادر الأدبية:

1- Appianus, Historia Roman(ek te's makedonikes. IIIyrike, Syriake'.mithridateias.
2- Aristo tales, politics (Translated by: H. Rackhan) L.C.L., London, William, Harrard University press.
3- Diodorus Siculus, (1997) BibIo theco, Historica (TranIated by: Russel m. Geer) L.C.L., London, William Heinemann, Harvard University Press.
4- Joustinos, Histoire, Universelle, Paris, Garnier Freres, Libriares Editeurs.
5- Pausanias, (1926) Description of Greek,L.C.L., New York Putnam.

6- Polybius, (1927) the Histories (Translated by:W.R., Paton) London, L.C.L., William Heinemann, Harvard University press.

7-

ثانيًا- المراجع العربية:

1- إبراهيم نصحي (1998) تاريخ مصر في عصر البطالمة، ج1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
2- ـــــــــــــ، (1998) تاريخ الرمان من اقدم العصور حتى عام 133 ق.م، مكتب الأنجلو المصرية، القاهرة.
3- فوزي مكاوى (1992) الشرق الأدنى في العصرين الهلنستي والرماني، الحضارة للطباعة والنشر، القاهرة.
4- مصطفى العبادي (1985) مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي، القاهرة.

ثالثاً- المرجع الأجنبية:

1- Bevan, E.R., (1968), The House of ptolemy,Chicago.
2- - Bowman, A. K., (1986) Egypt aftar the pharaohs, London.
3- Cary, M., (1951) the History of Greek World 323- 146 B.C., London.
4- Frank, T., Roman Imperia Iismey newyork.
5- Glotz, G., (1929), the Greek City and its institution (trans, from French), London.
6- Hammond, N.G.L., (1959) A History of Greek, Oxford.
7- Jouguet,D., (1928), Macedonia Imperialism and Hellenistion of the East, London, Kegan paui.
8- ———, and Griffith, G., (1952); Hellenistic Civilization, London. (1933) Histoire de Ia Nation Egyptienn tom III,I Egypt ptolemique, paris.

9- Mattingly, H., (1921) Journal of Hallenistic Studies.
10- Neatby, LesIie H., (1950) Roman- Egyptian Relation in the third century, T.A.P.A.
11- Rostovtzeff, M., (1958) Social and Economic History of Roman Empire 2nd, Oxford.
12- Tarn, w., (1921), "Heracles son of Barsine" the Journal of Roman Studies.
13- ———, and Griffith, G., (1952); Hellenistic Civilization, London, Edward Arnold, Ltd, Third Edition.
14- Walbank , F.w. ,(1992) The Hellenistic World , London.

info.jmbush@bmu.edu.ly Dr.salahshalufi@bmu.edu.ly
Mobile +218945429096